نحو مشروعية لمعارضة المهدية
نصيحة الشيخ محمد ود دوليب

عوض السيد الكرسني

(١) المقدمة :-

يعود أصل أسرة الدواليب الى محمد الضرير بن ادريس دوليب نسبة المتوفى حوالى ١٥٠٠ والذى وصفه ريتشارد هل بأنّه "متصوّف سودانى .. يبدو أنّ أصله دنقلاوى، وكان صاحب جاه وزهد، ويلجأ للعبادة فى جبل برسى على حدود ديار الشايقية، وتوفى ودفن فى الدبّة."[١] ولا تختلف أسرة الدواليب عن كثير من الأسر السودانية فى إرجاع أصلها الى أسباط الرسول (ص)."[٢] وتشير المصادر الى أنّ أسرة الدواليب اشتركت فى كثير من الصراعات السياسية التى صاحبت خبو نجم دولة الفونج،[٣] وأنّ كثيرا من أفراد الأسرة كانت لهم الحظوة والشفاعة فى سنار."[٤] ومن الواضح أنّ الاضطرابات السياسية التى عمّت سلطنة الفونج ابتداء من النصف الثانى للقرن السابع عشر، والتى دفعت بالكثير من الأفراد والأسر للبحث عن ملاذ خارج حدود السلطنة، أجبرت بعض الدواليب للنزوح غربا الى منطقة بارا، شمالى اقليم كردفان الواقع تحت سيطرة سلاطين دارفور آنذاك. ولقد عانت أسرة الدواليب من مشاركة بعض أفرادها فى صراعات البلاط والأحزاب السنّارية فى منازعات الأراضى فى سلطنة الفونج خاصة فى القرن السابع عشر، وهو القرن الذى أصبحت فيه وثائق الأرض واحترام حقوق الملكية بضمان الهبات السلطانية القديمة تخضع لتقلّبات التحالف الحاكم فى عاصمة الفونج سنّار."[٥]

غير أنّ رحيل جزء من أسرة الدواليب الى منطقة بارا بالقرب من الطريق التجارى بين دارفور ودنقلا ومصر سرعان ما جعلها تستعيد صدارتها التجارية والدينية والتعليمية القديمة. ويمثل اهداء سلاطين دارفور منطقة خرسى (بالقرب من مدينة بارا) فى أواخر القرن الثامن عشر لأسرة الدواليب توطيدا لوشائج نفوذ هذه الأسرة. وتطوّرت قرية خرسى تحت سيطرة أسرة الدواليب لتصبح مركزا تجاريا هامّا يربط بين دارفور وكردفان وبقية أجزاء القطر ودنقلا ومصر. وتكمن

أهمّية خرسى كمركز تجارى فى تمتعها بالاعفاء من مختلف أنواع الضرائب والمكوس وذلك لانفراد أسرة الدواليب بالاستقلال السياسى عن حاكم كردفان المعيّن من قبل سلاطين دارفور.[٦] ويمثل محمد ود دوليب (ت ١٨٣٠)، الذى أهداه سلاطين دارفور منطقة خرسى، أول جيل من الأسرة تمثلت فيه السلطات السياسية والدينية والتجارية والتعليمية مجتمعة فى غرب السودان. ولقد عرف الدواليب بجانب ثرائهم المادى بنشاط دينى تعليمى استمرّ حتى بعد نزوح الأسرة الى غرب السودان. وربط هذا النشاط التعليمى بين أسرة الدواليب وسلاطين دارفور الذين ظلّوا يرسلون أبناءهم الى خلاوى خرسى رغم سقوط الأخيرة بيد الحكم التركى - المصرى فى عام ١٨٢١.

أدّت سيطرة الحكم التركى - المصرى على كردفان فى عام ١٨٢١ الى انخراط أسرة الدواليب فى صفوف الحكم الجديد والمشاركة الفعلية فى توطيد أركانه. فأصبحت الأسرة دعامة هذا الحكم الرئيسية فى منطقة شمال كردفان، فتحوّلت سيادتهم القانونية السابقة على منطقة خرسى الى سلطة إدارية على كافّة أنحاء شمال كردفان - كما سنرى. نجد أنّ محمد ود دوليب (ت ١٨٨٢)، الذى نحن بصدد دراسة نصيحته، أول فرد من الأسرة تولّى منصبا إداريا فى جهاز الحكم التركى - المصرى فى كردفان. وتنازل محمد ود دوليب عن هذا المنصب لابنه الأكبر - ياسين - الذى توفى بمرض الكوليرا فى عام ١٨٥٧، ممّا يشير الى أنّ منصب شيخ المشايخ فى كردفان كان حكرا لأسرة الدواليب. وأدّت إعادة تنظيم مؤسسات الادارة التركية - المصرية فى السودان فى عهد الحكمدار موسى باشا حمدى (١٨٦٢-١٨٦٥) الى الغاء منصب شيخ المشايخ. وكان محمد بن ياسين بن محمد ود دوليب آخر فرد من الأسرة شغل المنصب السابق. وعلى ضوء النظام اللامركزى الجديد عيّن الدردييرى (ت ١٩٣٨)، الابن الرابع لمحمد ود دوليب، صاحب عهدة "طلبة" - أى مسؤولا عن جمع الضرائب فى منطقة بارا.[٧] وعيّن عبد الهادى صبر الدولابى (ت ١٨٨٢) "ناظر على خرسى والطيارة وملاحظا على مدينة بارا"[٨] ويصف هل عبد الهادى "بأنّه الشخصية الثانية فى المنطقة بعد فضل الله ود سالم الكباشى ناظر الكبابيش وأقوى رجل فى شمال كردفان"[٩] وامتدّت هيمنة الدواليب الادارية الى منطقة جبل

فأيديولوجية الثورة المهدية شكّلت فى جوهرها تهديدا ونفيا لنفوذ الأسرة السياسى والاقتصادى والدينى، كما سنرى .

(٢) الدواليب والثورة المهدية :-

تشير مصادر الدواليب الى أنّ محمد ود دوليب رفض مقابلة المهدى إبّان زيارة الأخير السرية لغرب السودان عام ١٨٧٩، والتى اتصل فيها ببعض الناس والأسر يجنّدها لدعوته المهدية. وتقول هذه المصادر أنّ ود دوليب أسرّ الى خاصته فى تلك الفترة المبكرة من تاريخ الدعوة المهدية الى أنّ محمد أحمد سيدّعى المهدية رغم معارضة ود ودليب وكثير من العلماء لدعوته.[١٦] وعندما بدأ خطر المهدية يطرق أبواب مديرية كردفان مهدّدا عاصمتها الأبيض بالحصار فى سبتمبر ١٨٨٢ جمع ود دوليب أفراد أسرته وكافة بطون قبائل الجلّابة والدناقلة بمدينة بارا وأخبرهم بأنّ المهدى سينتصر على قوّات الحكومة، ونصحهم باخلاء السودان والهجرة لمصر والاحتماء واللّياذ بكنف الزبير باشا رحمة - الذى كان محتجزا بالقاهرة منذ أن نجح فى ضم دارفور للحكم التركى - المصرى بالسودان عام ١٨٧٤. ورغم اختلاف مصادر الدواليب فى تحديد عمّا إذا كانت الهجرة المقصودة الى الحجاز عن طريق مصر، أم الى مصر ذاتها إلاّ أنّهم اتفقوا وفقا لاشارات ود دوليب أنّ هذه الهجرة مؤقتة، لأنّ السلطنة العثمانية - أى الحكم التركى - المصرى فى عرف السودانيين - ستعود من جديد لاسترداد السودان بعد القضاء على الحكم المهدوى.[١٧] وألحّ ود دوليب، الذى ينبىء بتطوّر الحوادث واتجاه اندفاعها عن طريق الكشف الصوفى، على المجتمعين من أفراد أسرته وغيرهم بسرعة الرحيل لأنّ الثورة والفتن ستعم كلّ أرجاء السودان إذ "لا خير فى السودان بعد الآن".[١٨]

وهكذا وبعد أقلّ من قرن ونصف من هجرة بعض الدواليب الى غرب السودان وجد الدواليب مرّة ثانية أنّ سامرهم آيل للانفضاض، ووجودهم مهدّد بالفناء، وأنّهم - بلا ريب - سيتفرّقون أيدى سبأ على يد عدو لا يمكن التصالح مع أيديولوجيته التى تطرح نفسها كبديل للطرق الصوفية،[١٩] ولامع برامج بواكير المهدية الاقتصادية التى تنبذ الدنيا وتحتقر المال واكتنازه وتقف حائلا دون ازدهار أسرة

الدواليب واستمرار مقومات وركائز سيادتها.(٢٠)

رغم إصرار ود دوليب على أفراد أسرته بالرحيل، إلاّ أنّ موقع الأسرة فى صدارة المؤسسات الحكومية جعل أفرادها يقومون بتعبئة أنصارهم وسط بطون قبيلة الدناقلة والجلّابة بمدينة بارا والحاقهم بالقوات التركية - المصرية فى كردفان . ويعتبر عبد الهادى صبر - السابق الذكر- أول قتيل من صفوف الدواليب فى حروب المهدية إذ قتل فى معركة جبل قدير فى مايو ١٨٨٢. وفى أثناء حصار الأبيض تمكّن المهديون من أسر محمد بن ياسين بن محمد ود دوليب - المعاون الادارى بالمدينة - وسلّموه الى مادبّو بك على شيخ قبيلة الرزيقات الذى قام بقتله فى قرية أم شنقة بدارفور.(٢١) ومن سخرية الأقدار أن يقتل مادبّو بك التجانى الطريقة أخاه فى الولاء الطائفى الذى ساقه حتفه الى المعسكر الخاسر. وسيتكرّر ذلك كثيرا وسط أنصار الطريقة التجانية إبّان معارك الثورة المهدية كما سنرى .

توفى محمد ود دوليب أثناء حصار المهديين لمدينة بارا.وحمل الدواليب وحلفاؤهم جثمان عميدهم ودفنوه فى خرسى . ورغم اختلاف الروايات حول تاريخ وفاة محمد ود دوليب إلاّ أنّ هذه الروايات تتفق فى وقوعها بين نوفمبر ١٨٨٢ - يناير ١٨٨٣ (صفر١٣٠٠هـ) .(٢٢) وانتخب الأسرة أكبر أبنائه الأحياء ادريس (المعروف بأبا) خليفة له .(٢٣)

أدت حركة محمد ود دوليب وانتصارات المهدية فى كردفان ودارفور الى ظهور بوارد الشقاق والانقسام فى صفوف الدواليب . فقد نشأ بينهم جناح يقوده الدسوقى محمد ود دوليب آثر التصالح مع الثورة المهدية واشترك ضمن جندها فى معركة شيكان (نوفمبر ١٨٨٣). بينما ظلّ الجزء الأكبر من الأسرة وحلفائها يناجز المهدية العداء، واضطرّ تحت وابل الهزائم أن يتقهقر الى منطقة الحرازة تحت حماية أبناء عمومتهم النوبة - الدواليب .(٢٤) وجاءت هزيمة القوات الحكومية فى معركة شيكان لتقنع الدواليب بصدق نبوءة شيخهم الرّاحل ممّا دفعهم للهرب شمالا نحو مصر تنفيذا لتلك النصيحة، ولكن هيهات فقد كان الأوان فات إذ كتب محمود عبد القادر - عامل المهدى فى كردفان - الى المهدى أنّ الدواليب "صاروا فى تجمّع عظيم أكثر من

أهالى الجبل وفى عزمهم التوجّه .. لناحية دنقلا وحيث الأمر كذلك فقد أعرضنا لكم سيدى الكيفية لاحاطة علمكم وصدور الأوامر بما يقتضيه صائب رأيكم." (٢٥) ونصح المهدى محمودا بأن يرسل خمسين جنديا وأنّه كتب الى "ولد ود دوليب والمقدّم عبد الرحيم والفقراء الذين معهم من أهالى خورسى المذكورين وسكونهم بندر الأبيض صحبتكم". (٢٦) وانتهت هذه الجولة باستسلام الدواليب وترحيلهم كما أمر المهدى للاقامة فى جبل كرباج - شمالى الأبيض. وهو الموضع الذى توفى فيه خليفة الدواليب ادريس أبا ودفن فيه إبّان عهد الخليفة عبد الله.

أدّى القضاء على الحكم التركى - المصرى فى السودان فى يناير ١٨٨٥ الى سحق عصيان الدواليب وحلفائهم وكافّة جيوب المعارضة ضد الثورة المهدية فى شمال كردفان خاصة وسط قبيلة الكبابيش. وفى عهد الخليفة عبد الله (يونيو ١٨٨٥- سبتمبر ١٨٩٨) أقتيد الدواليب والكثير من زعماء العشائر للاقامة الجبرية فى أم درمان عاصمة المهدية. وهذا دليل على أنّ تصالح جناح الدواليب مع الثورة المهدية لم يجد فتيلا فى خدمة أهداف المتصالحين أنفسهم ناهيك عن الحفاظ على بعض نفوذ الأسرة وثرائها الاقتصادى. وفى أم درمان وضع الدواليب تحت إمارة الدسوقى بن محمد ود دوليب وضمانة السيد المكى - شيخ الطريقة الاسماعيلية - وأخ محمد ود دوليب من جهة الأم. (٢٧)

لا نملك وثائق تتصل بموقف الدواليب إبّان حكم الخليفة عبد الله. ولكن هروب عبد الرحمن بن محمد ود دوليب (عبد الرحمن الخليفة) من أم درمان الى بادية الكبابيش مباشرة بعد إفلاح سلاطين باشا النمساوى (حاكم دارفور الذى استسلم للمهدويين فى عام ١٨٨٣ وظلّ أسيرا وملازما للخليفة عبد الله حتى عام ١٨٩٥) فى الهرب والوصول الى مصر ممّا قد يوحى بوجود صلة بين التدبيرين، وبين بعض الدواليب والمعارضة السرّية لحكم الخليفة عبد الله. وتفيد المصادر الشفوية بأنّ عبد الرحمن الخليفة عمد بعد هربه الى اللّحاق ببادية الكبابيش ومحاولة تنظيم هذه القبيلة المعارضة للمهدية للثورة ضد الخليفة عبد الله. وفى عام ١٨٩٧ التحق عبد الرحمن الخليفة بالجيش الغازى

(الانجليزى ـ المصرى) فى مدينة الدبّة بالمديرية الشمالية، حيث صدرت الأوامر بعودته الى شمال كردفان.[٢٨] ويصف أحد تقارير مخابرات الجيش الغازى عبد الرحمن الخليفة بالمشرف والمخطط للنشاط المضاد للمهدية فى كردفان.[٢٩] وبعد هزيمة الدولة المهدية أنيط بفضل المولى الكباشى وعبد الرحمن الخليفة "تأدية الأشغال الحسنة وحفظ الطرقات وتأمين الأهالى "وتمضى رسالة سردار الجيش الغازى الى فضل المولى: "أن ترسلوا عبد الرحمن الخليفة مع نصف جماعتكم الى بارا لعمل نقطة هناك وذلك لأجل إعادة النظام الى تلك الجهة".[٣٠] وبعد استتباب الأحوال للحكم الانجليزى ـ المصرى الجديد تمّ تعيين عبد الرحمن الخليفة ناظرا على مدينة بارا والعموديات المجاورة، ممّا يعنى ضم مدينة بارا الى مناطق نفوذ الدواليب. وعيّن النعمة سوركتى من الدواليب ناظرا على الجبال الشمالية (الحرازة) وتمّ الانعام على الدردیرى بن محمد ود دوليب ـ الذى صار خليفة دينيا للدواليب فى خرسى ـ بوسام دينى رفيع يعد الأول من نوعه فى السودان عام ١٩٠٣،[٣١] فى وقت كانت سلطات الحكم الجديد تراقب وترصد فى توتر نشاط بقايا المهدويين وتكتم أنفاس كلّ أشكال النشاط الدينى فى السودان.

نجح الدواليب من جديد فى ربط مصالحهم بالقوّة السياسية الحاكمة فى البلاد. وبالرغم من التكوين الثنائى (الانجليزى ـ المصرى) المتنافر للسلطة السياسية فإنّ عاملا جديدا يتمثل فى "نصيحة محمد ود دوليب" التى شاع أمرها فى السنوات الأخيرة للدولة المهدية ـ أصبح البوصلة التى تنير الطريق أمام أفراد الأسرة، موفرا غطاء غيبيا ثرّا وسندا أيديولوجيا ودينيا يضفى "الشرعية" على كافّة تصرّفات الدواليب.

(٣) النصيحة :ـ

تعتبر نصيحة الخليفة محمد ود دوليب نموذجا لتراث الدعوات والحركات الاسلامية التى فسّرت التاريخ الاسلامى تفسيرا مأساويا وعدميا يؤدّى فى نهاية الأمر الى قيام الساعة ونهاية الكون.[٣٢] والنصيحة فى جوهرها تتمّة لما أمسك محمد ود دوليب عن الافصاح به لدى اجتماعه بأسرته وحلفائها عشية حصار المهدويين لمدينة الأبيض

حاثًا إيّاهم على الرحيل الى مصر. وتذكر مصادر الدوليب الشفوية أنّ محمد ود دوليب صاغ المعلومات التى أمسك عن ذكرها فى هيئة شفرة سرّية خاصّة خيطت فى شكل "حجاب" توارثه خلفاء الدواليب ادريس أبّا والدرديرى من بعده. وتورد هذه المصادر أنّ إماطة اللّثام عن السر وفك لغز شفرة "النصيحة" تمّ فى عهد الدرديرى - الابن الرابع والخليفة الثانى لود دوليب - إبّان عهد الخليفة عبد الله عندما تمزّق جلد الحجاب. "والنصيحة" ذات طبيعة كشفية وصوفية محضة، لأنّ الاستشراف والإخبار عن الغيب والمستقبل من شأن الصوفية. وهى كناية عن الصفة المزدوجة للشيخ محمد ود دوليب كعالم من العلماء وشيخ ومقدّم للطريقة التجانية، أى صوفى. و"النصيحة" بسرّيتها والنهى عن إفشاء محتوياتها لا تعتبر امتدادا لحملة بعض علماء السودان ضد الدعوة المهدية التى قامت بتشجيع من الحكم التركى - المصرى.(٣٣) فهى إذن لم تسع الى نيل رضاء الحكومة القائمة بل تنبأت بقرب ساعة رحيلها.(٣٤) وهى تمتاز عن التراث المهدوى والألفى بأنّها لم تسع الى كسب تأييد جماهيرى لأنّها جاءت أساسا لمخاطبة أسرة واحدة فقط، وحتى عندما أصبحت معروفة فى أواخر عهد الخليفة عبد الله لم يتم تداولها إلاّ وسط الصفوة فى الأيام الأولى لفك رموزها وشفرتها. والى يومنا هذا يتحدّث البعض أنّ معرفة أسرار "النصيحة" يثير الفزع ويؤدى الى حدوث فتن وقلاقل لما بين دفّتى "النصيحة" من كشف لأمور مستقبلية مازالت فى رحم الغيب. ولهذا تحرص أسرة الدواليب ممثلة فى خلافتها الرسمية فى خرسى على عدم التعليق على صحّة أو خطل النسخ الرّائجة المنتشرة من "النصيحة". وفى تحليلى "للنصيحة" اعتمدت على النسخة المحفوظة فى دار الوثائق القومية السودانية (٣٥) وعلى نسخة أخرى مصدرها دواليب أم درمان. والنسختان لا تختلفان إلاّ فى تقديم وتأخير بعض الأبيات بينما يتفقان فى أنّ عدد أبيات "النصيحة" مائة وثلاثة.(٣٦) وتختلف النسختان فى بعض الكلمات التى لها دلالات رمزية بحساب الجمل.(٣٧) ويمكن تفسير التقديم والتأخير فى بعض النسخ برفض أسرة الدواليب إبراز نسخة موثّقة من "النصيحة"، أو القول بأنّه تمويه مقصود لقول (ص) ليحى بن عقب صاحب أقدم منظومة على نهج "النصيحة": "يا ابن عقب قدّم وأخّر فإنّ إفشاء سر الربوبية

حرام". (٣٨)

ونصيحة محمد ود دوليب لا ترفض فكرة "المهدى المنتظر" ولكنّها تهاجم مهدوية محمد أحمد - مهدى السودان - وتحرص على أن تؤكد جريا على رأى ومعتقدات الكثير من الفرق الاسلامية على أنّ القرن الخامس عشر الهجرى (١٤٠١-١٥٠٠هـ/ ١٩٨٠-٢٠٧٦م) سيشهد ظهور المهدى - صاحب الوقت - والدجّال وعيسى عليه السلام وكلّ علامات الساعة. (٣٩) وتبشّر بعض الفرق الاسلامية بأنّ القرن الرابع عشر الهجرى، هو قرن القيامة. وبجانب هذا الموقف القديم هنالك موقف ود دوليب الطائفى التجانى الذى لعلّه كان يبشّر بموقف أعضاء الطريقة التجانية القائل بظهور مهدى منتظر يخرج من بين صفوفهم. ويتجلّى رفضه لمهدية محمد أحمد بوصفه إيّاها بالفتنة (٤٠) ووصف الثورات والحركات والدعوات السياسية والاجتماعية بأنّها فتن وليد نظرة سنّية (٤١) مفادها أنّ السلطان الغشوم خير من فتنة تدوم، أو من تأثير المذهب المالكى الذى يدين له التجانية وأهل السودان ويجيز الدعوة للامام الجائر وقبول إمامة المفضول، ويحذر من مغبّة مجابهة الجور وهو فتنة بفتنة قد تكون أكبر منه.

تصوّر "النصيحة" الثورة المهدية بأنّها هجمة الأعراب وقبائل غرب السودان على المجتمع المتمدين باسم الدين الذى لا يفقهون تعاليمه (٤٢) ولا تمثل الدعوة المهدية لهم إلاّ وسيلة لسفك الدماء وإباحة الفروج ونهب الأموال وغيرها من أنماط السلوك البدوى القديم (٤٣). وفى تصوّر أهل الغرب والبدو للثورة المهدية يقول محمد أحمد المهدى: " ثم إنّى نبّهت على بعض المشايخ .. فلم يساعدنى على ذلك أحد حتى استعنت باللّه وحده ووافقنى على ذلك جمع من الفقراء الأتقياء. (٤٤) وجاء تصوّر المهدى هذا نتاجا طبيعيا لتقاعس الفئات الرّاشدة من العلماء وشيوخ الطرق الصوفية الذين خاطبهم إبّان السرّية وفى صدر دعوته للثورة.

ومن ناحية أخرى يتفق ود دوليب مع محمد أحمد المهدى فى هجومه على العلماء والطرق الصوفية المتنافسة والمتنافرة المنتشرة فى البلاد. فبينما يذهب المهدى الى إلغاء الطرق الصوفية ورفض نصوص العلماء الذين حاولوا مناقشة شرعية مهديته بقوله: "لا تعرضون

لى بنصوصكم وعلومكم عن المتقدمين فلكلّ وقت ومقام حال ولكلّ زمان رجال"، (٤٥) ويحض المهدى أيضا على وجوب تكفير من يخالف دعوته ومحاربته، يذهب ود دوليب لوصف الطرق الصوفية بأنّها منشأ الفساد، (٤٦) وبأنّ شيوخها الذين نبذوا أحوال أهل الله وتاقت نفوسهم لكرسى السلطنة هم معدن البلايا وأصل العلّة فى السودان. (٤٧) وفى رأى ود دوليب أنّ ممارسات الطرق الصوفية فاسدة لجمعها بين الرجال والنساء، (٤٨) وأنّ شيوخها طلّاب دنيا زائلة. (٤٩) ويختلف ود دوليب مع المهدى فى سبل العلاج، فهو لا ينادى كالمهدى بالغاء الطرق الصوفية بل يرى أنّ نشر التعليم هو السبيل لتقويمها (٥٠) وإبعاد شيوخها من الاتيان بالبدع ومخالفة نص الشرع. ويحدّد ود دوليب جوهر رسالة العالم فى التمسّك بالشرع والسير به، (٥١) والبعد عن الأهواء، ومحبّة الدينار، وجعل العلم وسيلة لنيل الدنيا والثراء. (٥٢) وأنّ العالم لا يكون عالما إلاّ بالاقتداء بأس هذا العلم وليس بالهيئة والرسم والمظهر الخارجى. ويبرز ود دوليب هنا إصلاحيا يؤمن بالتدرّج فى إصلاح المجتمع متفاديا فتنة الثورة التى نادى بها المهدى.

إنّ هجوم ود دوليب على العلماء والطرق الصوفية مردّه الى الثنائية التى تحكم سلوكيته كعالم بالشرع الظاهر وكمريد للطريقة التجانية التى بشر شيخها - أحمد التجانى - بأنّها خاتمة الطرق. وعليه فإنّ مريدها يتبوأ مكانة سامية لا يصلها مريدو الطرق الأخرى. وغذى الشيخ أحمد التجانى هذا الشعور بالتفرّد بالحديث عن تبوئه هو نفسه مرتبة ختم الولاية، ونزوله مرتبة قطب الأقطاب الذى رأى الرسول (ص) يقظة لا مناما، وتمتع بمعرفة اسم الله الأعظم، الخ... (٥٣) وهذا يضع المريد التجانى العادى فى مرتبة تفوق أنصار الطرق الأخرى. ويتباهى القاضى سكيرج بأنّ المريد القادرى يقرأ ورد الاستغفار ٣٠٠٠ مرّة، ولكن المريد التجانى ينال نفس الثواب بقراءة الورد ٦٠٠ مرّة فقط. (٥٤) والى جانب هذا التباهى الصوفى فإنّ ثراء أسرة محمد ود دوليب كفل عيشا يبعده عن حياة الكثير من العلماء ومشائخ الطرق الذين اعتمدوا فى كسب عيشهم على تملّق عطايا الدولة ومنحها وهدايا ونذور المريدين، فلم يكن أمام أولئك العلماء إلاّ ممالاة

الدولة وإصدار الفتاوى لتبرير مواقفها. إنّ ود دوليب يقف فى وضع متفرّد إزاء الكثير من العلماء وشيوخ الطرق الأخرى، فلا غـــرو أن عبّرت نصيحته عن مفهوم صارم للشرع يفرّق بين الحلال والحرام والأمور المتشابهة. إنّ استقلالية أسرة الدواليب الاقتصادية فى إطـــار علاقاتها المتشابكة مع الحكم التركى ـ المصرى جعلها تحتفظ بموقع متفرّد ظهر فى ابتعاد "النصيحة" عن خدمة سياسة الحكومة الدعائية ضد المهدى، رغم وقوف معظم أفراد الأسرة سياسيا وعسكريا فى صـــف الحكم التركى ـ المصرى لحين هزيمته. ويرجع هذا الموقف المتفرّد إلى أنّ الثراء الاقتصادى الذى يشكّل أحد أعمدة نفوذ الأسرة يتم جنيـــه وتحقيقه عن طريق التجارة بعيدا عن الاستغلال المباشر للأهالى عـــن طريق استخدام مواقع الأسرة السياسية والتعليمية أو الطائفية.

ونتيجة لعلاقة أسرة الدواليب المتشابكة مع الحكم التركـــى ـ المصرى نجد أنّ مركز خرسى التجانى وقف وحيدا ينافح عن الحكـــم القائم رغم تحذيرات ونصيحة محمد ود دوليب لأهله بالهجرة الى مصر. ولم تشارك هذا الموقف مراكز الطريقة الأخرى فى ديار الشايقيـــة والجعليين وغرب السودان. ففى ديار الشايقية كان الشيخ أحمـــد الهدى فى طليعة المشاركين فى معارك المهدية وقتل فى معركة دنقلا عام ١٨٨٤.(٥٥) وفى منطقة الجعليين ـ بشمال السودان ـ انضمّ أحفاد الشيخ محمد المختار بن العلية الشنقيطى، الذى قام بدور بارز فـــى نشر الطريقة التجانية فى شمال السودان واقليم دارفور، الى الثورة المهدية.(٥٦) وفى غرب السودان انضمّ الفكى (الفقيه) سعد الديـــن الفلانى وأنصاره الى المهدى بمنطقة الأبيض، وساعد الفكى سعد الدين فى تجنيد المزيد من مهاجرى قبائل الفلانى القاطنة غرب كردفـــان لصالح الدعوة المهدية،(٥٧) كما انضمّ الشيخ حسين جمعة ـ ناظـــر قبيلة البديّات بشمال دارفور ومقدّم الطريقة التجانية ـ الى صـــف الثورة المهدية.(٥٨) ولم يشارك أسرة الدواليب فى موقفها تجـــاه الثورة المهدية إلاّ بعض كبار التجار فى غرب السودان من أعضـــاء الطريقة التجانية وعلى رأسهم محمد بك الخبير وأحمد بك دفـــع الله(٥٩) وهما ممّن شارك فى مؤسسات الحكم التركى ـ المصـــرى الادارية.(٦٠) وهذا يؤكد أنّ الروّى الدينية فى "النصيحة" وظّفـــت

لخدمة مصالح الدواليب الاقتصادية والسياسية. ويوضح أيضا أنّ هجوم ود دوليب على الثورة المهدية يحمل فى طياته موقف المجموعات ذات المصلحة المؤكدة فى استمرار النظام التركى - المصرى الحاكم.

صحيح أنّ الدولة المهدية عمدت فى مراحلها الأخيرة الى توفير الشروط الذاتية لنمو رأس المال التجارى ومواصلة ما انقطع من نشاطه إبّان الحكم التركى - المصرى. ولكن الصراع بين ارستقراطية قبيلة التعايشة - رهط الخليفة عبد الله - وأرباب النشاط التجارى فى فترة الحكم التركى - المصرى، الذى اتخذ طابعا عرقيا - اقليميا أدّى الى عجز رأس المال التجارى عن استعادة قوّته السابقة قبل الثورة المهدية. وبالاضافة الى هذا، نجد أنّ العداء بين الدولة المهدية وجيرانها والحروب المتواصلة جعلت التجارة الخارجية - عصب حياة فئة كبار التجار - لا تشكّل موردا أساسيا لميزانية الدولة المهدية. إنّ العلاقة الوثقى بين موقف الأسرة الطبقى والعداء للثورة المهدية تظهر فى وصف ود دوليب للقوى الاجتماعية التى قامت بالثورة.(٦١) ورغم هجوم ود دوليب على مهدية محمد أحمد إلا أنّه لم يذهب مذهب أستاذ المهدى محمد شريف باشا نور الدائم فى تكفير تلميذه.(٦٢) فالمهدية فى نظر ود دوليب أمر مسطور لابدّ من حدوثه كغيرها من الفتن التى ستعمّ السودان.(٦٣)

وتتحدّث "النصيحة" عن حتمية انتصار المهدى وموته فى مقرن النيلين فى عام (ب) فى أول رابع القرون - أى عام ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م (٦٤) وعن تسلّم الخليفة عبد الله مقاليد الحكم فى البلاد.(٦٥) وتصف "النصيحة" سياسة الخليفة عبد الله بأنّها ستؤدى الى هلاك العباد (٦٦) وذلك لاستشراء جور أنصاره من أهل الغرب وعشيرته الذين شكّلوا أس الدولة المهدية وأرستقراطيتها كما ذكرنا. ولا يرى محمد ود دوليب مخرجا من فتنة الدولة المهدية إلا بفعل عدوان خارجى من قبل الدولة العثمانية (٦٧) - اشارة الى تبعية مصر الاسمية للباب العالى فى الأستانة. إنّ استعارة ود دوليب للغيبية الدينية للتنبّؤ بالعدوان الخارجى القادم كشرط لهزيمة الدولة المهدية يبث الأمل فى الفئة التجارية بقرب الانقاذ. وهذا يفسّر الترحيب الحار بين بعض أفراد مجموعة التجار،(٦٨) الذين يصفهم ود دوليب بالقوم الكرام البررة -

وتلاحمهم العضوى مع القوى الخارجية. إنّ هذا التلاحم جعل السنوات الأخيرة من عهد الخليفة عبد الله حافلة بأوامر السجن والمصادرة للثروة فى حق كثير من التجار اشتبه فى علاقاتهم بمصر ومخططاتها لغزو السودان من جديد(٦٩)

وتتحدّث "النصيحة" عن فتن السودان التى تجملها فى سبع فتن رمز الى المهدية "بهذه منها"(٧٠) وتختلف النسخ التى بين أيدينا حول دلالات هذه الفتنة فبينما ترمز احدى النسخ الى الرمز "زمع"(٧١) للاشارة للثورة المهدية نجد النسخة الأخرى يرمز اليها "زيق"(٧٢) والرمز "زمع" يمكن حسابه باستخدام حساب الجمل أسوة بالآخر "زيق" ولكنّنى أقف مع رأى بعض المصادر الشفوية التى ترى دلالات "زمع" تكمن فى اشاراتها الى الزبير باشا رحمة (ز) ومحمد أحمد المهدى (م) والخليفة عبد الله التعايشى (ع) وهم أقطاب الرّحى فى بداية الثورة المهدية. فقد كان الزبير باشا - المقيّد الاقامة بالقاهرة منذ عام ١٨٧٥ - أحد خيارات الحكم التركى - المصرى لمجابهة المهدى خاصة بعد هزيمة القوات الحكومية فى معركة شيكان عام ١٨٨٣ وود دوليب لا يتحدّث عن القضاء على الدولة المهدية فى عام ١٨٩٨. بوصفه فتنة بل يجد تبريرا دينيا لغزو دولة المهدية للفتك بقوم "كفرة".(٧٣) وهنا نجد "النصيحة" تشهر سلاح التكفير الذى لم تستخدمه البتة ضد المهدى نفسه. وهذا الحكم القاسى يأتى من استقراء ود دوليب لمجمل ممارسات الطبقة الحاكمة خلال عهد الخليفة عبد الله.(٧٤)

وبعد دحر الدولة المهدية تتحدّث "النصيحة" عن نشوب فتنة دينية جديدة تهدف الى اعادة الدولة المهدية من جديد. وقوام هذه الفتنة الحركات الدينية التى ظهرت فى العقد الثانى من هذا القرن وتعدّدت أهدافها فى التبشير بظهور النبى عيسى والدجّال وقرب قيام الساعة الخ.. واتفقت هذه الحركات فى وقوفها جميعا ضد الحكم الانجليزى - المصرى.(٧٥) وقد استخدمت هذه الحركات المنشورات الدينية كأسلوب دعائى لنشر أفكارها. ويحدّد أحد المنشورات أنّ فى عام "١٣٥٠ (١٩٣٠) يظهر علان (هكذا) فى السماء مثل بيض الدجاج وهى علان (هكذا) القيامة يا عباد الله تكون".(٧٦) ويمضى المنشور

محذرا ومنذرا "وبعد ذلك فى سنة ١٣٦٠ يرفع القرآن من صدوز الرجال"(٧٧) كناية عن قرب قيام الساعة. وتشير الروايات الشفوية الى استخدام "النصيحة" فى العقدين الأول والثانى من هذا القرن فى كثير من مناطق غرب السودان لدحض هذه المنشورات.

وتتحدّث "النصيحة" عن الخلاف الذى استعر بين انجلترا ومصر، دولتا الاستعمار الثنائى، بشأن إدارة السودان منذ مؤتمر فرساى عام ١٩١٩. وتتنبّأ "النصيحة" بخروج المصريين من السودان وانتصار الانجليز فى هذا الصراع. وتتنبّأ "النصيحة" أيضا أنّ الانجليز - أنفسهم - سيخرجون من البلاد فى فترة لاحقة لأنّ أمرهم أخف فى قادم الزمن من المصريين.(٧٨) وهذه النبوءة الاستشرافية ساعدت أسرة الدواليب على تغيير ولائهم القديم للمصريين الى الانجليز عند تفاقم الخلاف بين دولتى الحكم الثنائى. فنجد خليفة الدواليب - الدرديرى بن محمد ود دوليب - يشارك بعضا من رجال الادارة الأهلية فى شرق كردفان الهجوم على المصريين فى رسالة: "نرى فى بعض الجرائد أقوالا للمصريين أنّهم يريدون حكمنا فنحن لا نريد ذلك لأنّنا عرفنا من حكمهم فى الزمن السابق ما أكفانا من حكمهم ثانى".(٧٩) وتصف الرسالة الانجليز: "أنّ الحكومة الانجليزية منذ حلول ركابها فى بلادنا قد عاملتنا فى كل أحوالنا الدينية والمالية والعادية بكل احترام وعدل ... لأنّنا أمّة مقصّرة وقد فوّضنا أمرنا لها وهى تكون مسؤولة بين يدى الله والعالم عنّا".(٨٠) وهذا الموقف - القائم على تأييد انجلترا - روّج له نفر من علماء السودان فى جريدة "حضارة السودان" بجمع وثائق الولاء لانجلترا، وتقول رسالة هؤلاء العلماء: "فإنّ جميع الأمّة السودانية قد ارتبطت بالحكومة الحاضرة (الانجليزية) الرشيدة ارتباطا حقيقيا بالقلب والقالب بصداقة واخلاص ... فإنّها حكومة رشيدة ساهرة بالسعى فى كلّ ما يفيد الوطن وأبناءه".(٨١)

إنّ موقف أسرة الدواليب إبّان الصراع السابق يصوّر "الميكافيلية" السياسية" فى رغبة الأسرة فى ربط عجلة مصالحها بالقوى الذى سينتصر، فليس هنالك صديق دائم ولا عدو دائم. وفى هذا امتداد لتحالفات الأسرة مع القوى الحاكمة التى كانت تبعد بالأسرة عن أنواء

الفتن و الحروب للحفاظ على مقوّمات نفوذها.

بالرغم من أنّ شفرة "النصيحة" قد تمّ فك رموزها و أميط اللّثام عن أسرارها إبّان عهد المهدية - كما قلنا - إلاّ أنّها احتفظت بغموضها المعبّر عن طابعها الكشفى المستقبلى. فهى تتحدّث عن فتن محلّية قادمة بالرمز "أفتدى"(٨٢) التى سيعقبها الخراب. وتتجاوز "النصيحة" حدود السودان لتتحدّث عن فتن وحروب عالمية تسبق مجىء الدجّال الى الأرض.(٨٣) إنّنا لن نحاول استخدام علم الزبرج وحساب الزمن بالطريقة الأبجدية لحل بعض أسرار "النصيحة" وتحديد زمن وأعوام وقوع الفتن، ولكنّنا نقف عند حد تبيان أنّ الرّمز استخدم منذ قديم الزمان ولدى مختلف الأمم لاخفاء أسرارها. فنجد صاحب "شمس المعارف" يتحدّث عن خراب الأندلس و أنّ فى "سنة ظف تأخذها الروم ثم يأخذها صاحب الزمان المهدى".(٨٤) إنّ المطّلعين على "النصيحة" حاولوا فك رموزها مجتمعة أو منفردة أو تبديل بعض كلماتها وحروفها لخدمة أغراض سياسة محدّدة فى بعض حقب التاريخ. ففى الفترة التى أعقبت ظهور الأفكار المهدوية من جديد فى مطلع هذا القرن حاولت القوى الدينية الشعبية التى كانت تناجز دولتى الحكم الثنائى العداء تفسير الرّمز "افتدى" بما يوحى بأنّ المرحلة كانت فترة الدجّال - الذى رمز له بالحرف (د) من (افتدى).(٨٥) ومثل هذه الرمزية و الغموض ورفض أسرة الدواليب اعتماد نسخة واحدة من النسخ المتداولة يضفى على "النصيحة" ديمومة و استمرارية تتعدّى أواسط العلماء و النخبة الى رحاب معارك العامّة وتجلّياتهم الأيديولوجية ممّا جعل "النصيحة" فى نهاية الأمر ملكا للجميع.

(٤) الخاتمـــــة :-

قلنا أنّ "النصيحة" فى أعلى مراحل تعبيرها تكشف عن مخـــاوف أسرة الدواليب من هجرة جديدة ولذلك ترى فى الثورة المهدية وأنماط احتجاج الطبقات المظلومة فتنا وتشجيعا للحرب والنهب والسلـــب . و"النصيحة" تفصح عن مخاوف البرجوازية التجارية التى أقعدتها بعض الظروف المحلّية عن استكمال شروط وحدتها وقوّتها كقوّة رائدة لهـــا دورها الطليعى فى تطوّر المجتمع وخلق الظروف المثلى للاستقـــرار اللاّزم لتطوّرها. إنّ ضعف البرجوازية التجارية وعدم مقدرتها تحقيق الاستقرار هو الذى دفع بها للتبشير بالمنقذ الذى سيأتى من الخارج - أى الهجمة الاستعمارية. إنّ بعضا من مشروعية "النصيحة" يكمن فى تعبيرها عن مخاوف الفئة التجارية.

قضت الثورة المهدية على ثراء أسرة الدواليب المادى. وجاءت التغييرات الادارية بعد وفاة عبد الرحمن الخليفة فى عـــام ١٩٢٠ لتفقد الأسرة موقعها الادارى المتميّز فى منطقة شمال كردفان وتنكمش سيطرتها الادارية الى منطقة خرسى فقط ومع ذلك تجد الأسرة فـــى ريادتها للطريقة التجانية منفذا آخر لاستمرار نفوذها. ويذكـــر تقرير أعدّته مخابرات الحكم الثنائى فى عام ١٩٢٦ أنّ القبائـــل الرئيسية فى شمال كردفان وهى - الشنابلة والكبابيش والهواويـــر والمجانين - ظلّت بعيدة عن نفوذ المهدية الجديدة (٨٦) التى كـــان يقودها عبد الرحمن المهدى ، وتحت سيطرة أسرة الدواليب عـــدا الهواوير الذين نشط الشريف يوسف الهندى وسطهم.

إنّ مشروعية "النصيحة" تكمن فى تحوّلها من رسالة موجّهة الـــى أسرة واحدة ، كانت الثورة المهدية تمثل نفيا لشعاراتها وكافـــة منافذ نفوذها ، الى ملكية عامّة لجميع الفرق المتصارعة تحـــاول الاستفادة من غموض نصوصها ورمزيتها وتفسيرها بما يخدم أغراضهـــا ، وهذا ما أعطى التراث الغيبى الكشفى - و"النصيحة" من بين ذخائره - ديمومة واستمرارية على مدى الزمان.

الهوامـــــش :-

(١) Richard Hill, Biographical Dictionary of the Sudan, (London, 1967), p. 254.

(٢) دار الوثائق القومية، منوّعات ١/١٤٩/١٩٢٣، إجازة محمد بـــك الفكاكى الشريف الادريسى مقدّم الطريقة التجانية بالديار المصرية الى محمد الدرديرى بن محمد الخليفة، ١٣٢٩هـ (١٩٠٨).

(٣) أنظر: د. محمد ابراهيم أبو سليم، الفونج والأرض (الخرطـــوم : جامعة الخرطوم، ١٩٦٧) صفحات ٥٩ – ٨١.

(٤) نفسه، صفحات ٦٢–٦٦.

(٥) نفســـه.

(٦) كان استقلال المراكز الصوفية واعفائها من مختلف أنـــــــواع الضرائب والمكوس عرفا سائدا فى دولة الفونج. راجع:
John Burchardt, Travels in Nubia (Edinburgh, 1828)
R S O'Fahey and J. Spaulding, Kingdoms of Sudan (London, 1974)

(٧) محمد الأمين بن محمد، "أعلام المسلمين: مشائخنا فى الطريقـــة التجانية"، مخطوط غير منشور، ١٤٠٣هـ (١٩٨٣)، ص ٢٠.

(٨) Hill, Biographical, p. 279

(٩) نفسه، ص ٢٧٩

(١٠) W. G. Browne, Travels in Africa, Egypt and Syria from the year 1792 to 1798, (London, 1799), p. 298.

(١١) R.S.O'Fahey, "The Growth and Development of the Keira Sultanate of Darfur", Ph.D. thesis, London, 1960. p. 263.

(١٢) أنظر: Awad Al Sid Al-Karsani, " The Tijaniyya Order in Western Sudan: A case study of Khursi, Annohud and Al-Fasher, " Ph. D. thesis, University of Khartoum, 1985, pp. 140-146

(١٣) نفسه، صفحات ١٣٣–١٣٤

(١٤) N R O, Kordofan 1/16/82, Sub-Mamur Merkaz Soderi to Governor Kordofan, Soderi, 30 May 1926.

(١٥) عبد الله على ابراهيم، "فرسان كنجرت : ديوان نور اب الكبابيش ومقالاتهم فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر"، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، ١٩٨٠، ص ١٠٩.

(١٦) وبيننا لا يجمع الالـــه وجمعنا دين الهوى يأبـــاه

النصيحة ٢١- وسنرمز الى "النصيحة" فيما بعد بالحرف (ن).

(١٧) (ن ٤٠) ثم تكر الدولة العلية

فتأخذ البلاد بالقهريـــة

(١٨) (ن ٩١) وأنّه سيطرق الســودان

لا خير فى السودان بعـد الآن

(١٩) محمد سعيد القدّال، الامام المهدى: لوحة لشائر سودانـــى، (الخرطوم: مطبعة جامعة الخرطوم: التاريخ ١٩٨٥) صفحات ٧٣- ٨٠

(٢٠) نفسه، ص ١٢٦.

(٢١) Hill, Biographical, p. 280

(٢٢) (ن ١٠٢) أبياتها ثلاثة وعد قاف

وعامها غش به جرى الخلاف

يهمّنا هنا كلمة (غش) إذ أنّ تحليلها بحساب الجمل يكشف عـن العام الذى كتبت فيه "النصيحة" وهو عام ١٣٠٠هـ.

(٢٣) مقابلة مع الأستاذ الدرديرى الدسوقى - خليفة الشيخ محمـد ود دوليب - خرسى، ١٩٨٣م.

(٢٤) H.A. MacMichael,, The Tribes of Northern and Central: Kordofan (Cambridge, 1912)

(٢٥) دار الوثائق القومية، منوّعات ١٤٩/١/١٩٢٣، محمود عبد القادر الى المهدى، ٢٦ جمادى ١٣٠١هـ (١٨٨٣).

(٢٦) دار الوثائق القومية منوّعات ١٤٩/١/١٩٢٣، المهدى الى محمود عبد القادر، ٢٧ جمادى ١٣٠١هـ (١٨٨٣).

(٢٧) ابن محمد، "اعلام المسلمين"، ص ١٠

(٢٨) N R O, Misc. 1/149/1923, Director of Intelligence to Sirdar, Debba, 27 Za el Hooas 1315 A.H. (1898).

(٢٩) N R O. Misc. 1/149/1923, Commander Brett to Abdel Rahman El Khalifa, Debba, 10 May 1998.

(٣٠) نفسه، سردار الجيش المصرى الى فضل المولى الكباشى ٢٥يناير ١٨٩٩م.

(٣١) N R O. Kordofan 1/4/15, Governor Kordofan to Director of Intelligence, El Obeid, 8 February 1903.

(٣٢) من أقدم القصائد ذات المنحى الكشفى المبشر بالمهدى والدجّال ونهاية الكون فى أمد معلوم لأمّية يحيى بن عقب الذى عاصر الرسول (ص). أنظر: أحمد على البونى، شمس المعارف الكبرى، الجزء الثالث (القاهرة: مطبعة صبيح، بلا تاريخ) صفحات ٦٨-٧٠.

(٣٣) راجع: عبد الله على ابراهيم، الصراع بين المهدى والعلماء (الخرطوم: جامعة الخرطوم، ١٩٦٨) صفحات ٢٣-٣١.

(٣٤) (ن ٢٣) وإنّه سيغلب العساكر المصرية
بقطرنا وتعظم الرزية

(٣٥) أنظر: N R O, Misc 1/55/1029

(٣٦) (ن ١٠٢) أبياتها ثلاثة وعد قاف
وعامها غش به جرى الخلاف

يهمّنا صدر البيت الذى يكشف أنّ عدد أبيات "النصيحة" يبلغ مائة وثلاثة.

(٣٧) الكلمات التى اختلفت فيها نسخ "النصيحة" المختلفة هى: "زمع"، "زيق" "افتدى"، "اهتدى" "شجيق"، "شفاك" "ايق شقاك" و"غاى شقاك" وهى لها مدلولات حسابية تؤكد أنّ الخلاف لم يكن اعتباطا أو هامشيا.

(٣٨) البونى، شمس المعارف، ص ٧٠

(٣٩) (ن ٩) فخامس القرون لا يرسمه
ابن أنثى قولهم فافهمه

(٤٠) (ن ٥) يوقظ هذا فتنة السودان
فلا تنام أبد الأزمان
و"هذا" ترجع الى محمد أحمد المهدى .

(٤١) فى باب الفتنة لابدّ من إيراد الحديث الشريف الذى رواه الصحابى حذيفة ، قال: كنّا جلوسا عند عمر رضى الله عنه ، فقال أيكم يحفظ قول رسول الله (ص) فى الفتنة؟ قلت : أنا كما قاله. قال: إنّك عليه (أو عليها) لجرىء. قلت : فتنة الرجل فى أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصوم والصدقة والأمر والنهى. قال: ليس هذا أريد. ولكن الفتنة التى تموج كما يموج البحر. قال ليس عليك منها بأس ، يا أمير المؤمنين : إنّ بينك وبينها بابا مغلقا قال: أيكسر أم يفتح ؟ قال: يكسر . قال: إذن لا يغلق أبدا.
من كتاب : اللّؤلؤ المرجان فيما اتفق عليه الشيخان، (المكتبة الاسلامية ،بلا تاريخ) ص ٣٠٤.

(٤٢) (ن ٢٩-٣٠) وقومه الأعراب أهل الطغيان
الكاتمين الكفر أهل البهتان
النّابذين الشرع من ورائهم
النّاقضين الحق من شقائهم

(٤٣) (ن ١٣-١٤) كذلك كلّ شيّب وبكر
يبح فروجهنّ احذر شرّه
كذا يبح سفك دماء المسلمين
وأخذ أموالهم ظلم مبين

(٤٤) د. محمد ابراهيم أبو سليم (تحقيق) ،منشورات المهدى، الخرطوم، ١٩٦٩، ص ٢٤

(٤٥) دار الوثائق المركزية ،منشورات الامام المهدى، الخرطوم ،١٩٦٤، ص ٢٢.

(٤٦) (ن ٥٧–٥٩) منشأ الفساد من أهل الطرق

فهم معدن البلايا والحمق
لأنّهم انتدبوا عبادا
مع جهلهم فزادهم ابعادا
فجمعوا من هؤلاء الرجال
مجامعا منها فساد الحال

(٤٧) (ن ٦٠–٦١) حتى تشوّقوا لكرسى السلطنة

وزهدت نفوسهم للمسكنة
ونبذوا أحوال أهل الله
ورغبوا فى حال ذى الملاهى

(٤٨) (ن ٦٦) ويجمعون بين النساء والرجال

وذاك منشأ الفساد والضلال

(٤٩) (ن ٧٦) وانّهم قد جبلوا على البدع

وهكذا حب النساء والطمع

(٤٩) (ن ٦٤) فإنّهم كلاب دنيا زايلة

قد بذلوا آجلهم بالعاجلة

(٥٠) (ن ٧١–٧٢) ولو رأوا الأمر الذى حلّ بهم

لبذلوا الهمّة فى إصلاحهم
وبذلوا الأموال للمعلّم
وألزموا الجهّال بالتعلّم

(٥١) (ن ٨٥–٨٦) قد بيّنا شرعا أتانا واضحا

من زاغ عن ذاك الطريق افتضحا
من لم يسر به فلا ولاية
له ولا تقوى ولا هداية

(٥٢) (ن ٨٣) تحملهم محبّة الدينار

لفعل ما يهوى بهم فى النار

(٥٣) راجع على حرازم براده، جواهر المعانى (دار الفكر، ١٣٨٣هـ)

(٥٤) أحمد العياشى سكيرج، رفع النقاب ،تيوتن،بلا تاريخ، ص ١٠٦.

(٥٥) Hill, Biographical, p.33

(٥٦) وفى هذا الصدد يمكن ذكر الشيخ محمد الخير أستاذ المهدى فى احدى مراحله الدراسية المبكرة وأمير بربر فى بداية المهدى والعديد من أفراد أسرتى الحجّاز والهاشماب وغيرهم من تلاميذة ابن العلية الذين ناصروا المهدى .

(٥٧) مجلّة طريق الحق ١١/١ (يوليو ١٩٦١) ص ٢٥

(٥٨) دار الوثائق القومية ،منوعات ١٣٠١/٨١/١، المهدى الى الشيخ حسن جمعة ، الأبيض ،٢٩ ربيع أول ١٣٠١هـ.

(٥٩) راجع Hill, Biographical

(٦٠) يوسف ميخائيل، مذكرات يوسف ميخائيل عن أواخر العهد التركى والمهدية بالسودان (لندن،دار النصيرى للنشر،بلا تاريخ) صفحات ٤-٨. ولابدّ من الاشارة الى أنّ المرحوم د. صالح محمد نور المحاضر بشعبة التاريخ، جامعة الخرطوم ،كان أول من حقق هذه المذكرات فى أطروحته لنيل دكتوراه الفلسفة فى التاريخ من جامعة لندن فى ١٩٦٢م.

(٦١) (ن ٢٨) من سفك الدماء وإباحة الفروج
ونهب أموال بملك لا يروج

(٦٢) ورد فى قصيدة محمد شريف باشا نور الدائم:
فقال أنا المهدى فقلت له استقم
فهذا مقام فى الطريق لمن يدرى
(و) ومن ذلك النادى أبى وأبيته
وأفتيت فيه بالضلالة وبالكفر
وإنّى أذنت الجيش أن يضربوه إن
أتاهم بما يهواه من واضح النكر

(٦٣) (ن ٢٢) وقد جرى القلم بالذى يكون
فى بأسنا ما بيننا سرّ مصون

(٦٤) (ن ٢٤) فى مقرن البحرين لاشك هناك
هلاكه فمنه ربّنا وقـــــاك

(٦٥) (ن ٢٦) وبعده الأعرج يملك البـــلادا
بيدى ظلمـه سيهلك العبـادا

(٦٦) نفسـه.

(٦٧) أنظر الهامش رقم (١٧)

(٦٨) (ن ٤١) تهلك أقواما لئاما كفـــرة
تسرّ أقواما كراما بـــــررة

(٦٩) أنظر: محمد سعيد القدّال، السياسة الاقتصادية للدولة المهدية، (الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، ١٩٨٦).

(٧٠) (ن ٩٥) وفتن السودان سبع بلا مـراء
فهذه منها وشرّها يـــــرى

(٧١) (ن ٩٥) وفتن السودان سبع بلا مـراء
فهذه منها شرّها يرى بالرمز زمع

(٧٢) (ن ٩٦) برمز زيق ثم بعد افتـــداء
كلّ بها يرى خرابا يبتـــدا

(٧٣) أنظر الهامش رقم (٦٨).

(٧٤) (ن ٣٣-٣٧) وهؤلاء هم الأشـــرار
وهم بنص شرعنا كفـــــار
قد بدّلوا وصحوا عن الهدى
وارتكبوا الغش ومالوا للـــردى
والأغبياء تراهم كالأنبياء
فبئسهم وهم بغـاة أشقيـــــاء
ويل وويح لهؤلاء الكفـــار
قد سبقوا الحجاج حقا الى النار
هم البغاة وهـم الكفـــار
ويزعمون أنّهـــم أخيـــــار

(٧٥) أنظر: G.J.Lethem, History of Islamic Political Propoganda in Nigeria, (London, 1927)

(٧٦) راجع: دار الوثائق القومية ،دارفور ١٣٠/٢٣/١، الشيخ الأنصار بالفاشر وكافة دارفور عمومى .

(٧٧) نفسه .

(٧٨) (ن ٤٦) ومع هذا أمرهم أخف
وآخر الزمان جميعه أسف

(٧٩) دار الوثائق القومية ، مخابرات ٤/١/١١، الشيخ محمد الدردرى محمد الخليفة خليفة سجّادة عموم قبيلة الدوالىب وبعض عمد قبيلة الجوامعة الى مدير مديرية كردفان، ١٣٤٢هـ (١٩٢١).

(٨٠) نفسه

(٨١) حضارة السودان ٦٥ (٢٦ أكتوبر ١٩٢١).

(٨٢) (ن ٩٦) برمز زيق تم بعد افتداء
كل بها يرى خراب يبتدىء

(٨٣) (ن ٩٧) فى أيق شقاك فتنة تدور
برّا وبحرا تهدم القصور

(و) (ن ٩٨) ولاسيما فى غاى شقاك فتنة
تقع بين ذوى الكتاب حرب تقطع

(٨٤) البونى، شمس المعارف ،ص ٧٠

(٨٥) يقال أنّ الرئيس السابق نميرى سأل ان كانت (ت) الكلمة (افتدى) يمكن أن تكون(ن) ،وهو مبحث عن الشرعية لا يمتاز بالغرابة فى ظروف الدول النّامية

(٨٦) راجع الهامش رقم (١٤).

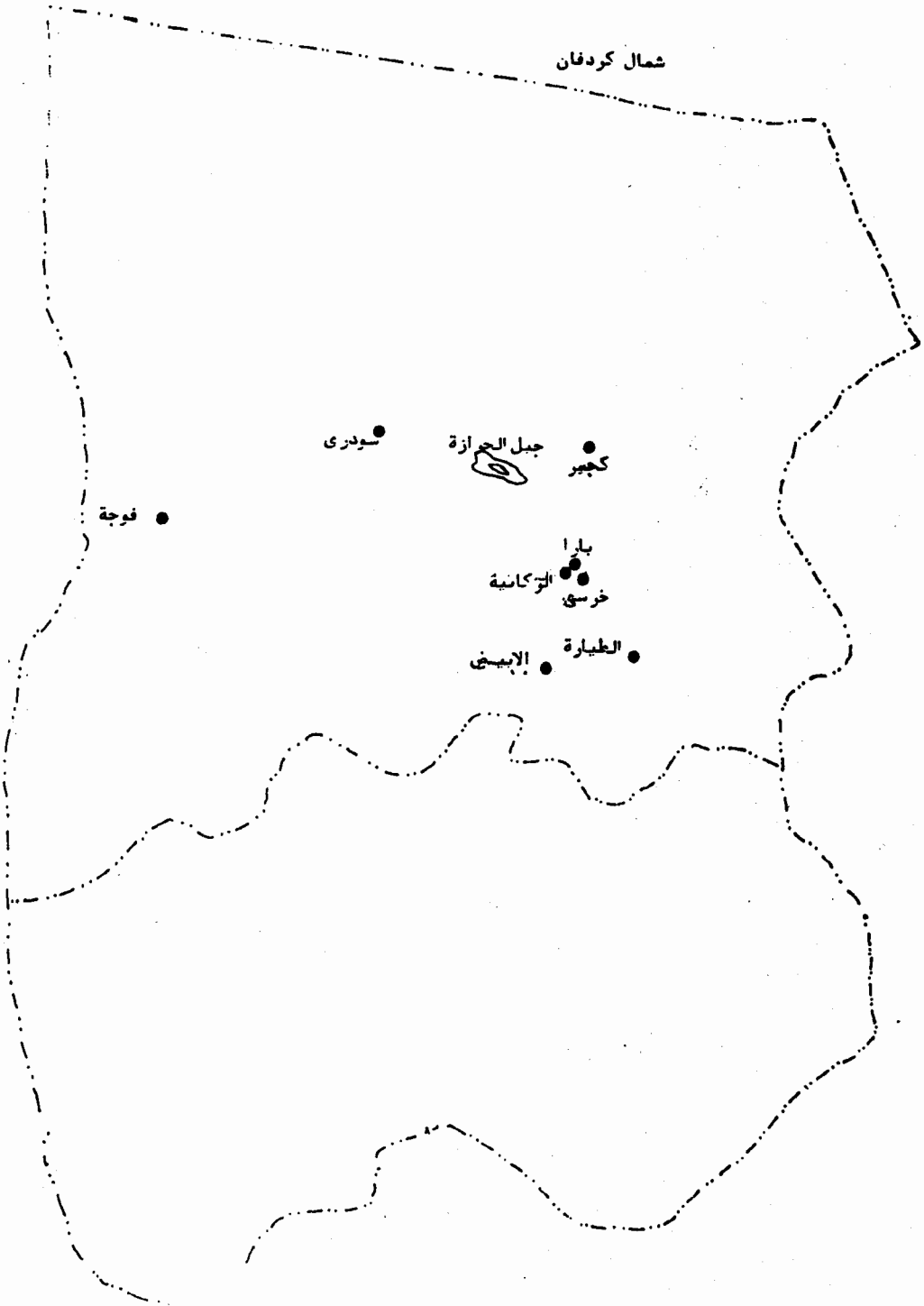
شمال كردفان
سودرى
جبل الحمرازة
كجمر
فوجة
بارا
التوكامية
خورسى
الطيارة
الابيض